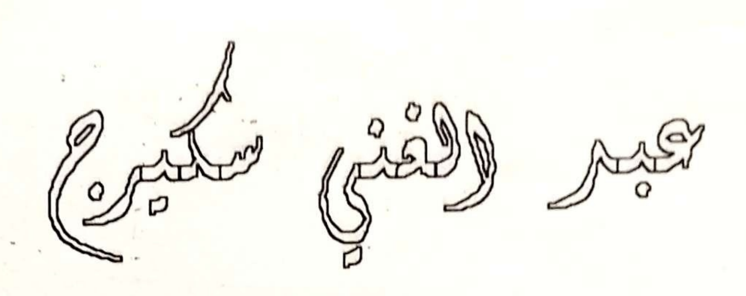
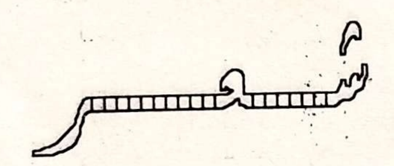


الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



الطلّ النّضيد



الطبعة الأولى

سنة 1995

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراثي

يتساءلُون بأي داء... ؟

سيطُول فيك تحسُّري وبكائي

ويزيدُ فيك ـ وإن حرَصت ـ عَنائي

حُزنَان : حُزنٌ في الفؤاد مُكتمٌ

يبقَى، وحزْنٌ بيِّنٌ متراءي

يتساءلون : بأي داءٍ قد قضى

دَاء الرَّدى داءٌ بغير دواء !

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner



المرحوم عبد الله كنون

(1326 ـ 1409 هـ)

ومِنْكَ ارْتَدى هَذَا الشَّمَالُ رُواءَهُ   وَفِيكَ انْطَوَى يَوْمَ الرَّحِيلِ روَاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يبق من أرثيه بعدك... !

في الذكرى الأربعينية لوفاة العلامة المرحوم الأستاذ عبد الله كنون.*

رثاؤكَ، عندي، لِلأنامِ رثاءُ | وَمنعَاكَ منعى للنُّفوس عناء !
وفقدُك فقد للحجا وثراته | ورَجعُ أسى لم يحتمِله فِناء
ورُزؤُك رزءٌ لا يقاس بمثله | مُصابٌ، ولا يأتي عليه عَزاء !
ومنآك عن كل المواطِن أنّةٌ | تضيقُ لها الأرجاءُ، وهي فضاء[1]
ففي (النيل) إيلامٌ، وفي (بَرَدَى) أسى | وفي القدس و(الزوْرَا) عليك اجتواء[2]
ففي كلّ قُطر دمعةٌ مستفاضَةٌ | وفي كل ركن محنةٌ وبلاء
وَحَسْبك هذا الزّحف يأتي مؤبناً | بما ضاق عنه الشعرُ والشُّعراء !

---

* الأستاذ عبد الله كنون من مواليد سنة 1908 ولد بمدينة فاس ثم هاجر صحبة والده العلامة المرحوم عبد الصمد بن التهامي كنون أحد علماء القرويين لطنجة يوم احتلت فرنسا المغرب. وكانت وفاته بطنجة يوم الأحد الخامس من ذي الحجة الحرام من عام 1409 هـ الموافق ليوم عيد الشباب التاسع من شهر يوليوز من سنة 1989 وتأخر دفنه إلى اليوم الموالي..

(1) المواطن : المجالس العلمية والمجامع اللغوية التي كان يحضرها، إذ كان عضوا في كل من المجمع اللغوي للقاهرة ودمشق وبغداد وعمان، كما كان عضوا في أكاديمية المملكة المغربية ورئيس رابطة علماء المغرب.

(2) الزوراء : من أسماء بغداد عاصمة العراق، والاجتواء : شدة الحزن والأسى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد كنتَ للدنيا وللدِّينِ حلـيـةً   تُسَرُّ، وفيه، إنْ أسيْ تُـسـاء !

وحيداً، كمشكاة الدُّجى متألقاً

وَقد جنَّ ليلٌ، واستُعيد ضيـاء

فمثلُك في الآفـاق عزَّ نَظـيره   ومثلُك لا يرقـى إليه رَجـاء !

ومنك ارتدَى هذا الشَّمالُ رواءه

وفيكَ انطوَى، يَومَ الرَّحيلِ، رُواء !

ولم يبق من أرثِيه بعدكَ جاهـداً   تردَّى جسومٌ أوْ يصابَ ثراء... !

* * *

بقيَّةُ عهدٍ سالفٍ متنضِّـرٍ   ومطمَحُ جهدٍ، لم تَشُبه رِيـاء

وموئِلُ آمال، وصنوُ أجِلـةٍ   ونِضوُ نضَال لم ينلْه عـيـاء

ومضربُ أمثَال لجيلٍ تصرَّمت   عهودٌ لها في السالفين مضَاءُ (3)

وبُغيةُ نفسٍ لم يغرَّ بزائـف   وكم غرَّ جاهٌ، واستحلَّ ثـراء

مِن النفَر البِيض الذين وجُـوهُهمْ   نقَاءٌ، وكم فات الوجوه نـقـاء

* * *

وكم قد رأت عيني ولم تر محفِلاً   وحشداً ترامى قد عناه بكـاء

يسيرُ بِنعشٍ قد حوى مجد أمَّـة   كريمٍ، مِن المولى عليه رِداء

---

(3) كان عبد الله كنون خير من يمثل العصر السلفي بالمغرب

(4) إشارة إلى الوظيفة التي تقلدها يوم أصبح المغرب مستقلا فزهد في وظيفة العمالة بعد أن اشتهر بالعفة والنزاهة والاستقامة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تـراآى لذِي عينـين يُكبـر قـدرَه بعيداً تـراآى، شـعَّ منه ضِـياء[5]
تراقصَ في بُردين : بـردِ نـزاهـةٍ وبــردِ نَكـاء ما حَـكَاهُ نكـاء
درَى كيف يسمُو في خُطى سُبحَاته إلى أنْ بدا نجماً حـوته سماء !!
فأينَع ـ إيناساً ـ وفجَّر حكمةً وقـادَ حـصـاةً للجـلاءِ جـلاء[6]

فلو لم يكن جسماً لأصبح فكرةً
ولو كان فكراً ضاق عنه فـضـاء

ولو لا اعتِلاَلٌ كان سفراً مقدساً تسيرُ وتَستهدِي به العُظـماء !
لَعمْـركَ مَا الدُّنيا سِـوى مُلْهم بـها أراحَ النُّهى، أوْ سَادَ منه رخاء... !

* * *

رفيقَ النُّهى والطرسِ يُجهِد نفسه ليُنعم فكـرٌ، أو يـروقَ سـنـاء
حنانيك ! ما ألقى سوى ما يسوءُني وغيـرَ الذي لا يرتضِيـه إبـاء
فلـم أر ما يُرضي الحـجا ويسرُّه صَفَاءً وأمـناً، والسُّرُورُ صـفاء !
فمَن بَعدُ يَرقَـىْ (للنبوغ) يصوغُه وقد ذاعَ هُزءٌ واسْتَتَاط هراء...[7]
وَمن (لِمَشَاهيرٍ) صدعتَ بذكرهِم جفونٌ غفتْ عنهُم وعَفَّى عفاء[8]
ومَن لحـصاةٍ تستشِـفُّ رواءَها بلِيلٍ، وليلُ الخَامِلِيـن غِـنـاء

(5) تلاحق موكب الجنازة تلاحقا حتى أن الآخر منه لم يدرك الأول عند الدفن.

(6) اشارة إلى المدرسة الحرة التي أسسها بطنجة فكانت أول مدرسة وطنية بها حيث تخرج منها عدة أفواج كانت أداة لد حر المستعمر واجلائه.

(7) النبوغ المغربي : أحد مؤلفات المرحوم الشهيرة في الأدب المغربي ورجاله. وقد طبع للمرة الثالثة.

(8) المشاهير ـ مشاهير رجال المغرب الذي يقع في خمسين جزءاً اطبع كله سوى العشرة الأخيرة منه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(كنزٍ) حوى كل المَعارِفِ والنُّهَى ثمينٌ، عَراهُ مِنْ يديك سخَاء(9)

مجالِي رحابٌ لِلنُّهى وسِمَاته

على كُلِّ سمتٍ بهجةٌ وبهاء...

* * *

نزيلَ الثرَى، هل يهدأُ القلب في الثرى ويلْقَى الهَنا أم ليس ثَمَّ هناء ؟

وهل ثَمَّ ما يرضي الفَتى عن جهاده وقد نابه ممَّا يراهُ عناء ؟

فقد حدَّثونا بالمكَارم أنها لأهل التقى والكادِحِينَ جزاء

ولا رَيبَ عِندي في الفضائِل أنها مَنال وفِيها لِلنفُوس وقاء

ولاَ شك عندي في النعيم وأنهُ وفَاءٌ إلَى أهْلِ النهى وَكِفَاء

وَأجملُ من هذا وذاك تَقِيَّةٌ لها بين كل الذاهبِينَ بقاء

* * *

حياتُك فِي هذِي وتلْك تجِلَّةٌ وحسنُ بلاء يقتفِيهِ ثناء

وحسبُك أن تحيَا فَتذكركَ الورى وَتمضِي فتُرثَي، والرِّثاءُ وَفَاءُ !

---

(9) الكنز : خزانته العملية التي أوقفها على طلبة المغرب والتي يبلغ ثمنها العشرات من الملايين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner